مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد خاص بواقع المؤتمر العلمي الدولي بعنوان "التكامل الفكري في مواجهة التحديات العلمية" (٢٠٢٦/٢/١)، ص ص: ١٤٩ – ١٦٥

قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

أثر التكامل بين الأدب والتاريخ في بناء النص الأدبي علاقة الأدب بالتاريخ

The Impact of Integration between Literature and History in Constructing the Literary Text: The Relationship between Literature and History

م .م بلال محمد باشا

Instructor. Asst. Bilal Muhammed Basha

Abstract

The relationship between literature and history is one of complementarity, not contrast; there is a kind of connection between these two forms of human intellectual practice that links them in an almost organic way. Furthermore, the human being is the common subject of both literature and history. This research includes a theoretical introduction and nine applied studies on the relationship between them. The writer possesses the ability to connect the past with the present, to reveal and consolidate the values of goodness—these are fundamental matters in literature and among its goals. The writer has an eye that uncovers the spirit of the nation, a hand that links the parts of its personality and the stages of its development, and a foot that strives toward the future. This can only be achieved with the presence of mature, responsible writers who are aware of the issues of their nation and committed to addressing them. The writer has a message, and this idea requires them to possess cultural and intellectual capital that enriches their experience and deepens their vision of society and humanity. We do not understand the writer's relationship with history as an entanglement in the problems of history, but rather as a sincere feeling filled with love, passion, and a desire for the progression of history. The writer's relationship is one where they are influenced by society and its events, influenced by the social environment, and interact with it, which increases their sense of belonging and their inclination towards what is right

Keywords

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الكلمات المفتاحية:

ملخص

العلاقة بين الأدب والتاريخ هي علاقة تكامل لا تعارض؛ إذ توجد صلة بين هذين الشكلين من أشكال الممارسة الفكرية الإنسانية تربط بينهما ارتباطًا يكاد يكون عضويًا. فضلًا عن أن الإنسان هو الموضوع المشترك لكلٍّ من الأدب والتاريخ. يتضمن هذا البحث مقدمة نظرية وتسع دراسات تطبيقية حول العلاقة بينهما.

يمتلك الكاتب القدرة على ربط الماضي بالحاضر، وكشف قيم الخير وترسيخها، وهي أمور أساسية في الأدب ومن أهدافه. كما يمتلك عيناً تكشف روح الأمة، ويدًا تربط أجزاء شخصيتها ومراحل تطورها، وخطوة تتجه نحو المستقبل. ولا يتحقق ذلك إلا بوجود كُتّاب ناضجين مسؤولين، واعين بقضايا أمتهم وملتزمين بمعالجتها.

وللكاتب رسالة، وهذه الفكرة تقتضي أن يمتلك رصيدًا ثقافيًا وفكريًا يُثري تجربته ويعمّق رؤيته للمجتمع والإنسان. ولا نفهم علاقة الكاتب بالتاريخ على أنها تورّط في مشكلاته، بل بوصفها شعورًا صادقًا مفعمًا بالمحبة والشغف والرغبة في تقدّم التاريخ. فهي علاقة يتأثر فيها الكاتب بالمجتمع وأحداثه وبالبيئة الاجتماعية، ويتفاعل معها، مما يعزّز إحساسه بالانتماء ويميله نحو الصواب.

١ – المقدمة:

العلاقة بين الأدب والتاريخ علاقة تكامل وليست علاقة تفاضل ؛ فهناك نوع من الارتباط بين هذين النوعين من أنواع الممارسات الفكرية الإنسانية جعلهما مرتبطين بصورة شبه عضوية . ومن ناحية أخرى فإن الإنسان هو الموضوع المشترك لكل من الأدب والتاريخ . وهذا البحث يضم مقدمة نظرية وتسع دراسات تطبيقية عن العلاقة بينهما . فالأديب يملك القدرة على ربط الماضي بالحاضر وكشفه وترسيخه لقيم الخير وهذه أمور أساسية في الأدب ومن أهدافه. فالأديب له عين تكشف الغطاء عن روح الأمة، ويد تربط بين أجزاء شخصيتها ومراحل تطورها، وله قدم تسعى إلى مستقبل وهذا لا يتحقق إلا بتوفُّر أدباء ناضجين مسؤولين واعين لقضايا أمتهم ومؤمنين بمعالجتها، فالأديب له رسالة، وهذه الفكرة تتطلب منه زادا ثقافيا وفكريا يغني تجربته ويعمق رؤيته للمجتمع والإنسان ولا نفهم علاقة الأديب بتاريخ أنها انخراط بمشاكل التاريخ ، بل نفهمها إحساسا صادقا مفعما بالحب والغيرة والرغبة في تطوّر التاريخ، فعلاقة الأديب علاقة يتأثر بالمجتمع وأحداثه ويتأثر بالوسط الاجتماعي ويتفاعل معه مما يزيد انتماءه وإحساسه الى الصواب.

وقد قسمت هذا البحث الى مقدمة ومبحث وثلاثة مطالب وخاتمة

المبحث الاول: تعريف ونظرية الأدب

المطلب الاول: الأدب والتاريخ

المطلب الثاني: مهمة الفنان

المطلب الثالث: نتائج حول العلاقة بين الرواية والتاريخ

٢.المبحث الاول: نظرية الأدب

النظرية لغة: نَظَرَ ومعناها ألتامل أثناء التفكر بشيء ما [١].

إصطلاحا: دراسة لموضوع معين دراسة منطقية وعقلانية من اجل استنتاج الفكرة التي تبنى عليها النظرية

الأدب لغة: الدعوة إلى مأدبة أو وليمة ومن ذلك قول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى

لا ترى الآدب فينا ينتقر

اصطلاحا: تشكيل لغوي جمالي الموقف من الواقع أو كما عرفه ابن خلدون: فكر الأمة المؤروث الذي يعبر عنه الشاعر أو الكاتب بلغة ذات مستوى رفيع ينقل بشفافية مؤروث الأمة الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري والحضاري والتاريخي تعني «نظرية الأدب» الدراسة المنهجية للأدب وطرق تحليله، فهي تبحث في نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته، وتتعرّف طرائق نقده

واتجاهاتها عبر الزمن والتاريخ وقد قامت النظرية الأدبية في حقبة ما بعد منتصف ستينيات القرن العشرين لتواجه مقاربات الأدب مقاربات غير ألسُنية، أي مقاربات تاريخية أو جمالية أو اجتماعية أو نفسانية أو دينية.

(١) القاموس المحيط – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى–ط٨– ج١–٢٢٩.

النظرية في أعم تعريفاتها: انغماس التفسير الأدبي والتقييم النقدي في نظام من العمومية، وقد قامت النظرية الأدبية في حقبة ما بعد منتصف ستينيات القرن العشرين لتواجه مقاربات الأدب مقاربات غير ألسُنية، أي مقاربات تاريخية أو جمالية أو اجتماعية أو نفسانية أو دينية. والنظرية الأدبية اليوم وليدة بيئتها الثقافية الايديولوجية: وليدة العرف المؤسساتي تحديداً، لذا يرى (جوناثان كولر) أن الشعرية تؤكد على أن التفسير ليس هدف الدرس الأدبي ... إن هدف الدرس الأدبي هو فهم الأدب بوصفه مؤسسة إنسانية، أي صيغة دلالية، وإن الشعرية اليوم حين تدرس أعمالا محددة فإنما تسعى ليس إلى تفسيرها، بل إلى كشف بنى وأعراف الخطاب التي أعانتها على امتلاك ما تملكه من معنى[١]. وقدم (ديمان) تعريفاً للنظرية إذ يقول: ((لقد قيل أن النظرية تنخلق حالما لم تعد مقاربة النصوص الأدبية تعتمد على اعتبارات غير ألسنية، أي لم تعد تعتمد على اعتبارات تاريخية أو جمالية، أو عندما يصير المعنى والقيمة ليسا موضوع المناقشة، وإنما الموضوع هو صيغ إنتاج واستقبال المعنى والقيمة، قبل أن يتأسسا . والايحاء الضمني هو أن مثل هذا التأسس إشكالية تتطلب تخصصا مكتملاً من البحث النقدي لدراسة إمكانياته ووضعه))، وقد رصد (ميلر) هذا الوضع في ذات تعريفه النظرية في مقال ((نصر النظرية)) حيث يقول: إنني أعني بـ (نظرية) إزاحة تركيز النظر في الدراسة الأدبية عن معنى النصوص وتركيزه على الطريقة التي بها يُنقل المعنى، والنظرية لكي نضعها بطريقة اخرى هي استخدام اللغة للحديث عن اللغة ولكي نضع الأمر مرة اخرى بطريقة أخرى فالنظرية هي تركيز النظر على المرجعية بوصفها إشكالية لا بوصفها شيئا يربط القارىء، بشكل أكيد وغير غامض بالعالم الواقعي من التاريخ والمجتمع ومن الناس

(١) دليل الناقد الأدبي : د. ميجانا الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. الثانية، ٢٠٠٠ : ص–١٨٦ .

العاملين ضمن المجتمع على مسرح التاريخ[١]. وأشار الباحثون إلى مسألة جوهرية في نظرية الادب مفادها أن نظرية الادب والنقد والتاريخ لا يمكن أن تستعمل في عزلة عن غيرها، وأن كل منها يستوعب الآخر استيعاباً شاملاً بحيث لا يمكن فهم نظرية الادب بمعزل عن النقد أو التاريخ، أو فهم النقد دون نظرية الأدب والتاريخ، أو التاريخ بدون نظرية الادب أو النقد[٢]. ومن الناحية العلمية لم يكتب أبداً تاريخ الادب دون بعض مبادىء للانتقاء وبعض محاولات التقييم وتحديد الخصائص، ومؤرخو الأدب الذين ينكرون أهمية النقد، هم أنفسهم نقاد دون أن يشعروا، ويكونوا في العادة نقادا ثانويين يتخذون الشهرة والمقاييس التقليدية أساسا لأحكامهم ٠

٢.١.المطلب الأول: الأدب والتاريخ:

أولا: الأدب:

والأدب موضوعات، قواعد، تقنيات، اعمال، ووظيفته في الاقتصاد العام لمجتمعنا هي تطبيع الذاتية، ويمكن أطلاق الادب من وجهة نسبية على مجموع الكتابات، التي يتخذها مجتمع وزمن ما، أدبا له[٣] . والأدب هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء أكان شعراً أو نثرا[٤] . ويقتصر المصطلح الصحيح للأدب على النثر الفني والشعر الذي تحكمه معايير الامتياز عن الكلام العادي وقيمة الأدب تكمن في تعبيره ذي الكثافة الخاصة المرهفة عن الحياة ومعانيها المتباينة[٥].ولزاماً علينا أن نميز بين الأدب والدراسة الأدبية، فهما فعاليتان متمايزتان: إحداهما خلاقة، فن، والأخرى، إذا لم تكن بالضبط علماً فهي ضرب من المعرفة والتحصيل[٦].

ثانياً: التاريخ:

التاريخ هو حكاية الماضي، أو هو مجموعة الأحداث والوقائع الإنسانية التي مضت وانتهت لكنها قابلة للتحول والتفسير والتأثير، وهي أحداث ووقائع تترك بصمتها وآثارها

(١) ١٨٨ . دليل الناقد الأدبي : د. ميجانا الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. الثانية، ٢٠٠٠ : ص–١٨٨

(٢) نظرية الأدب : اوستن وارين، رينيه ويليك : ت: محي الدين صبحي –دار المريخ الطبعة ١٩٩١–ص ٤٧

(٣) معجم المصطلحات الأدبية المعصرة : د.سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط. الاولى، ١٩٨٥–ص٣١ .

(٤) معجم المصطلحات الأدبية : نواف نصار، دار المعتز، عمان، ط. الاولى، ٢٠١١ – ص ١٦ .

(٥) معجم المصطلحات العربية : ابراهيم فتحي، التعاضدية العالمية، تونس –ص ١١ .

(٦) نظرية الأدب : اوستن وارين، رينيه ويليك : ت: محي الدين صبحي –دار المريخ ١٩٩١–ص ١١ .

في الحاضر والمستقبل، وتسهم في تشكيل السلوك الإنساني عامة والفعل الإبداعي – ومنه الأدب – خاصة، ولهذا فإن الاعمال الأدبية تنطوي على طابع تاريخي (اللغة ومفرداتها، الوعي الأدبي والوعي التاريخي، التقاليد والأعراف الفنية والجمالية ... الخ)، ولا يمكن إنكاره أو اغفال أثره في المراحل التاريخية اللاحقة، ولهذا نجد من يؤكد – محقاً– مقولة مؤداها ((أن الاعمال الأدبية القديمة تحيا في الاعمال الأدبية الحديثة))[١].

ثالثاً: علاقة الأدب بالتاريخ:

بين الأدب والتاريخ علاقة وثقى، فهي علاقة تكامل لا علاقة تفاضل، لذا نجد الفائدة متبادلة بينهما، فالتاريخ يقدم مادة خام للكاتب والشاعر، أما الأدب بدوره فيقدم وثائق تاريخية يعول عليها كثيراً . وإن الحقيقة اليوم تقول: إن الأدب والتاريخ أقرب إلى أن يكونا ممارسة واحدة على مستويين، إذ إن موضوعهما المشترك هو الإنسان صانع التاريخ، وصنيعته هو مبدع الأدب الذي يسهم في تشكيل الأنسان ايضا، وقد كان الأدب طوال تاريخه نمطاً من أنماط التسجيل التاريخي[٢].

ولا شك أن التاريخ معينٌ لا ينضب لتجارب البشر أفراداً وأمما، وباستطاعة الأديب والشاعر أن يتخير من التاريخ ما شاء من تجارب يحليها أدبا، وذلك كما قال ارسطو: ((بأن يخرجها من الخصوص إلى العموم)) فهو لا يصور تجربة هذا الرجل أو ذاك كما وقعت في التاريخ إنما يصور تجربة كل رجل تحيط به نفس الظروف التي أحاطت بهذا الرجل التاريخي أو ذاك، وإن من الأدباء مثل (دوماس الأب) مؤلف القصص التاريخية العديدة من تحلل وقائع التاريخ يقول متسائلاً: التاريخ ؟ من يعرفه ؟ إن هو إلا مسمار أشجب فيه لوحاتي[٣]. فضلاً عن أن الكتابة التاريخية كانت بالنسبة لكثير من المؤرخين تُعد نوعاً من الابداع الادبي وفي أغوار التاريخ أمثلة كثيرة منها:

١- كتب الفتوح الاسلامية تحدثت عن خطب لعمرو بن العاص أو طارق بن زياد أو غيرهما، بالإضافة إلى الشعر الذي يدخل

(١) في نظرية الأدب : د. شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية، بيروت . ط. الاولى، ٢٠٠٥ –ص ١٤٥ .

(٢) ينظر : بين الأدب والتاريخ : د. قاسم عبده قاسم– ناشر عين للدرسات والبحوث –ط الاولى ٢٠٠٧–ص٤١

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : د. شوقي ضيف –دار المعارف بمصر –ط الثانية عشر –ص ١٣١

ضمن نسيج السرد التاريخي الذي تحمله المصادر التاريخية العربية طوال عصور ازدهار الثقافة العربية الإسلامية .

٢- المؤرخون الأوربيون الذين كتبوا عن الحروب الصليبية التي تحمل قطعاً أدبية، وحكايات خيالية، ونماذج أدبية من (سير القديسين) تكشف عن امتزاج الأدب بالتاريخ في سطور تلك المؤلفات التي تحمل أحداث التاريخ وإبداعات الأدب نوعاً من (القصص) التي تحكي سير الناس، وكلمة(Historia) التي اتخذها (هيرودوت) عنواناً لكتابه تعني الفحص والتأمل . والأدب باعتباره أحد أهم الابداعات الجماعية البشرية لا بد أن يكون من بين المصادر المهمة التي يعتمد عليها المؤرخ من أجل استعادة صور الماضي من ذمة التاريخ[١]. ولا بد لنا أن نتناول محاور هذه العلاقة الحميمة بين الأدب والتاريخ من خلال:

أولا: الشعر والتاريخ:

تعد الفنون الشعرية مصدراً مهماً لابد للمؤرخ أن يعول عليها وهو يحاول استعادة صور عصر ما من العصور التاريخية، بيد أن هذا لا يعني أن النصوص الشعرية بأجناسها كافة يمكن أن تكون نصوصاً تاريخية بحد ذاتها، كما أننا لا يمكن أن نتجاهلها بدعوى أنها نتاج لخيال الشعراء الذي يتجاوز الواقع[٢]. والأدب الاغريقي – الملحمي، والتمثيلي، والغنائي، والأدب العربي قد نشأ وتكونا وتطور في حاضنة الاحتفالات الدينية، إذ نشأ متدرجاً من اناشيد وتراتيل دينية تُزجى للآلهة، تراتيل كانوا يرتلونها للآلهة ملتمسين منها النصر لأبطالهم والظفر بأعدائهم، والغفران لمن يقضون نحبهم ومحاولات الالتماس والظفر والغفران تحولت فيما بعد إلى قصائد المديح والهجاء والرثاء، وتؤكد آيات قرآنية عديدة عن وصل العرب الشعر والسحر وتعاويذ الكهنة، وكل هذا يشير إلى الاصول التاريخية للأدب وارتباطه وتطوره – بعد ذلك – بالأحداث والوقائع الإنسانية التي هي في جوهرها تعبير عن التاريخ ومراحله المتعددة والمتنوعة[٣] ولا ننسى أن الملاحم الشعرية ما تزال تمثل أهم المصادر التاريخية، بل إن بعض الباحثين يرون أن هذه الملاحم تمثل المرحلة الانتقالية بين عصر الاسطورة وعصر التاريخ أو هي

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : د. شوقي ضيف – دار المعارف بمصر – ط الثانية عشر - ص ١٣٢

(٢) بين الأدب والتاريخ : د قاسم عبده قاسم – الناشر عين للدراسات والبحوث -٢٠٠٧-ص٣٤

(٣) في نظرية الأدب : د. شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية، بيروت . ط. الاولى، ٢٠٠٥: ١٤٥

نهاية عصر الاسطورة وبداية عصر التاريخ ... لذا يعد الفكر التاريخي فرخاً من أفراخ الأسطورة[١]. وذكر النقاد والباحثون تعاريفاً كثيرة للأسطورة نورد منها [٢]:

الاسطورة: ((الجزء القولي المصاحب للطقوس البدائية)) .

في حين نجد آخرين يذهبون مذهباً عقلياً في تفسير الأساطير، إذ يرون أن الالهة كانت في أصلها طائفة من الملوك بلغوا من القوة والتأثر شأواً عظيماً جعل الناس يتجاوزون بهم عالم الواقع إلى عالم الخوارق ثم يؤلهونهم، ولهذا الاتجاه أهمية، ذلك لأنه جعل للأساطير واقعاً تاريخياً، ولعل الأصح أن يقال: ان الاساطير قد أصبح لها بفضل هذا الاتجاه واقعاً فيما قبل التاريخ. ويحفل التاريخ الإنساني بكثير من الملاحم الشعرية التي تجمع بين التاريخ والخيال وحقيقة الأمر أن هذه الملاحم قد نسجت حول نواة من الأحداث التاريخية الحقيقية قد أخذ الأنسان يضفي عليها قيمه ومثله العليا، وآماله وأفكاره عبر العصور، حتى جاء زمن دونت فيه الملحمة في شكلها الأخير فكانت تعبيراً تراكمياً عن حقب زمنية متوالية من حيث مضمونها التاريخي من الحوادث والأسماء المختلفة وجاءت تعبيراً وجدانياً عن عصر التدوين[٣]. وقد كان للعرب قبل الإسلام تراث اسطوري يستحق الدراسة الجادة ونلتقي في بقاياه بالبطل الاسطوري والساحر والمارد والحية ذات الرأسين، ونقرأ أسجاع الكهان الدينية وعن شداد المتمرد وعن لقمان، وغير ذلك مما بقى لدينا من مقدمات كتب التاريخ العربي وفي بعض الشعر الجاهلي والإسلامي. وقد تميزت حياة العرب قبل الاسلام بأنها حياة حربية تقوم على سفك الدماء، وكان الشعر لا يزدهر إلا في الحرب، لذلك فإن القبائل العربية التي لم يكن بينها حروب لم تعرف بوقائع وأيام لم يزدهر فيها الشعر، ويقول ابن سلام في ذلك: ((وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي بين الأحياء، نحو حرب الاوس والخزرج، أو قوم يغيرون ويغار عليهم، والذي قلل شعر قريش أن لم يكن بينهم نائرة، ولم يحاربوا، وذلك الذي قلل شعر عمان))[٤]. إذن للشعر

(١) بين الأدب والتاريخ : د قاسم عبده قاسم – الناشر عين للدراسات والبحوث –٢٠٠٧–ص٣٥

(٢) الاسطورة في شعر السياب : عبدالرضا علي – الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والفنون –ط ١٩٧٨–ص ١٤

(٣)بين الأدب والتاريخ : د قاسم عبده قاسم – الناشر عين للدراسات والبحوث –٢٠٠٧–ص٣٧

(٤) طبقات فحول الشعراء : لابن سلام : تح: محمود أحمد شاكر، دار مدني : ١/ ٢٥٩، وينظر : مقالة

دور بارز في العلاقة ما بين التاريخ والأدب، وذلك بما يمتلكه من أدوات لغوية ودلالات متعددة، وقدرة التسجيل، والتصوير، والاختزال، والتكثيف، إلا أن التسجيل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بآيديولوجيات الشعراء ومرجعياتهم، وقناعاتهم بالأحداث، وثقافاتهم. إن كثيراً منهم مسكون بفكرة التعصب القبلي، ونرجسية الذات، فيسجلون لذواتهم ما ليس لهم، ويسلبون غيرهم ما هو لهم؛ ولأن الشعر أيضاً به آلية (الرمز– الشفرة)، التي قد تُستغلق على بعض المتلقين ولا يستطيعون فك وفهمها ، فيتم تأويلها بتأويلات قد تكون بعيدة عن الحدث نفسه وعن الشعر أيضاً، وقد يحملونها ما لا تحتمل من معانٍ. كذلك شكل التاريخ مهرباً لكثير من الادباء حينما كرهوا الحاضر ورؤية الجماهير الجاهلة يخدعها ويستغلها طبقة مبتذلة من الأغنياء، فولوا وجوههم شطر الماضي يحتمون به وينتعشون، فمثلاً ألف (لكونت) دليل وهو متأثر بهذه الروح ((القصائد العتيقة)) عام ١٨٥٢، ووضع وليم موريس ((الفردوس الأرضي)) عام ١٨٧٠، وألف (فلوبير وثاكري وموريس) وهم متأثرون جميعاً بهذه الروح التاريخية فألف فلوبير ((سالمبو)) في ١٨٦٢، وألف ثاكري هنري (أزموند)) ١٨٦٢، وألف موريس ((حلم من أحلام جون بول)) ١٨٨٨، وقد شرح فلوبير ذلك الكره بقوله: ((سأكتب قصة تجري حوادثها فيما قبل المسيح بثلاث قرون، لأني أشعر بالحاجة إلى الهروب من العالم الحديث الذي يرهقني تصويره ولا تلذ لي ملاحظته))[1].

ثانياً: النقد والتاريخ:

المنهج التاريخي في النقد شأن أي منهج حساس، إذا فقد فيه صاحبه توازنه زلت به قدمه واختل ميزانه، وصار مؤرخاً أو جمّاعة وحكمه العصر بمقياسه وحكمه وصار النص الأدبي لديه مادة تاريخية ولم يصر التاريخ مادة النقد .

والمعنى الخاص للتاريخية يمثل ارتباط الحدث بالزمن كسلسلة منظمة حسب نسق زمني، أو دراسة اعمال أدبية معينة بحسب تسلسلها التاريخي، فمن الصعب معرفة تاريخ الأدب من دون معطيات نقدية، فضلا عن أهمية تاريخ الأدب بالنسبة للناقد، فالناقد الجاهل بالعلاقات الأدبية التاريخية يضل في أحكامه الأدبية فلا يستطيع تمييز الاصل من

الشعر كوثيقة تاريخية، موقع الكتروني (الأكولة الادبية واللغوية) .

(١) المؤرخون وروح الشعر : ايمري نِف :تر: د. توفيق اسكندر، ط. الثانية، ١٩٨٤: ١٩١ .

المنقول[١]. والآن لابد لنا أن نعرف الفرق بين مهمة المؤرخ ومهمة الفنان

مهمة المؤرخ:

ينشد الحقيقة التاريخية المجردة وهو في بحثه عن هذه الحقيقة التاريخية يحاول إعادة صورة الماضي كما حدث بالضبط متسلحاً بمنهجه الاستردادي وقيود هذا المنهج الصارمة مسترشداً بمصادره ومن بينها الفن بطبيعة الحال في محاولة لتحقيق هدفه في إعادة تصوير الماضي، ويحاول تفسير هذا الماضي من خلال الكشف عن العلاقة السببية بين مختلف الظواهر التاريخية . ويثير المؤرخون المنظرون من أمثال (هادين وايت) مشكلة في عمل المؤرخ حين ينتقل من منطقة سجلات التاريخ (بيان الأحداث) إلى منطقة التاريخ (ترتيب هذه الأحداث في تتابع يحكي قصة تلك الأحداث ويقدم تفسيراً لها في علاقة أحدهما بالآخر) فأنه ينتقل إلى حقل السرد الأدبي، ومن ثم فإن حقائق التاريخ لمبادىء السرد وضروریاته قد تقرأ في الحقيقة كأدب بدل أن تقرأ كتاريخ ولهذا أهميته الواضحة فيما يتعلق بالقص النثري[٢]، أنه في نهايته المنطقية يشوش الحدود بين السرد التاريخي والأدبي (القصصي) وله أهميته أيضا في قراءة الشعر. ووجدنا رينيه ويليك بعدما اجهض الفصل بين نظرية الأدب والنقد والتاريخ يحث المؤرخ أن يأخذ دور الناقد قائلاً: " يجب أن يكون مؤرخ الأدب نقاداً حتى لو أراد أن يظل مؤرخاً

٢.٢.المطلب الثاني:

مهمة الفنان: حين يختار التاريخ مجالاً لعمله الفني يضع نفسه رهن الحقيقة التاريخية في إطارها العام، يكون في حل القيود الصارمة التي يفرضها المؤرخ على نفسه، كما أن الفنان في عمله الفني يكون بعيداً عن استخدام المنهج، وإنما يرى في الحقيقة التاريخية شيئا أشبه بالهيكل العظمي، فيكسوها بخياله الفني لحماً، وينفخ فيها الروح الإبداعية. ومهمة الشاعر الحقيقية ليست رواية الأمور كما وقعت فعلاً، بل رواية ما يمكن أن يقع، والأشياء الممكنة، أما بحسب الضرورة أو بحسب الاحتمال، ذلك أن المؤرخ والشاعر لا يختلفان يكون احدهما شعراً والآخر يرويها نثراً، وإنما يتميزان

(١) المذاهب النقدية –دراسة وتطبيق – : د. عمر الطالب –بلد النشر الموصل دار الطكتب للطباعة والنشر –ط١٩٩٣–ص ٨٢

(٢)نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر: ديفيد بشبندر: ترجمة: عبدالمقصود عبدالكريم، الهيئة المصري العامة للكتاب، ١٩٩٦:

كون أحدهما يروي الأحداث التي وقعت فعلاً، بينما يروي الآخر التي يمكن أن يقع[١]، ومن هنا كان الشعر أقرب إلى الفلسفة وأسمى مرتبة من التاريخ لأن الشعر أميل إلى قول الكليات على حين أن التاريخ أميل قول الجزئيات (ما وقع بالفعل)[٢].

ولابد للناقد أيضاً أن يحدد علاقته بالنص الأدبي الذي يهتم به بشكل خاص ويستعين بالتاريخ ومؤثرات العصر لاستبطان النص، ويجعل التاريخ في خدمة النص الادبي وليس العكس .ويتضح لنا من خلال المنهج التاريخي اتجاهان مختلفان:

الأول يدخل في النقد الأدبي دون شك، لأن صاحبه يقابل الماضي كما يقابل الحاضر محتفظاً بتحليله ورأيه وذوقه الشخصي، والتاريخ لديه وسيلة للفهم والتفهم تقيه من الشطحات، وهذا شان الذي يملكون مؤهلات الناقد الحقيقي يردفها حظ موفر من القدرة الإبداعية من الإنشاء ... وفيهم المنشئون فعلا .

ولا بد أن نعي " أن التاريخ ليس هو الذي يفسر الفن، بل أن الفن، وهو شهادة الفكر الذي ينشد ذاته ويبني ذاته، هو الذي يضيف إلى التاريخ معنى"[٣].

الثاني: لا يدخل في النقد، وليبق تاريخاً إذا شاء، لأن صاحبه يبقى مدفونا في العصر الذي يدرسه تحت أكداس من المصادر، وهذا شأن ناس جمّاعين يملكون الصبر ولا يملكون الذوق وحسن التصرف وحفظ التوازن وهم يدعون في النقد ما ليس لهم .

* ويبدو لنا أن العلاقة بين الأدب والتاريخ ترسخ نظرية الفن للمجتمع التي نادى بها فلاسفة اليونان القدامى – سقراط، أفلاطون، ارسطو – إذ إن الادب يقوم على وفق ما فيه من مضمون اجتماعي وأخلاقي يفيد الإنسان والمجتمع، فالتأثر الاجتماعي والأخلاقي للفن هو مقياس جودته[٤].

أما التاريخانية التي حدد معالمها غرينبلات بقوله:" في النهاية لابد للتحليل الثقافي الكامل أن يذهب إلى ما هو أبعد من النص ليحدد الروابط بين النص والقيم من جهة، والمؤسسات الاخرى في الثقافة من جهة أخرى" وفي رأيه أن هذا المنهج يسعى بالاتكاء على القراءة الفاحصة إلى استعادة

(١) مقدمة في النقد الادبي : د علي جواد طاهر – بيروت –ط الاولى ١٩٧٩ –ص ٤٠٤

(٢) في نظرية الأدب : د. شكري عزيز – مكتبة لسان العرب –ط٢٠١٧ –ص١٤٧

(٣) . المذاهب النقدية :دارسة وتطبيق –د عمر الطالب – عراق دار الطكتب للطباعة والنشر – ط١٩٩٣-ص٨٣

(٤) في النقد الأدبي الحديث : د. فائق مصطفى –دار الايام للنشر والتوزيع –ط ٢٠١٨ – ص ٤٣

القيم الثقافية التي امتصها النص[١]. وظهرت التاريخانية كمدرسة لها اسسها النظرية وتنظيراتها النقدية والفكرية، وأطروحاتها حول مفهوم التاريخ والتطور التاريخي والثقافة، وآليات قراءة وتأويل النصوص الأدبية، فعادةً ما تحيل هذه الممارسة على الاشتغال على العلاقة بين الأدب والتاريخ، من حيث هي علاقة تأثر بشكل مباشر أو غير مباشر بالنظرية ما بعد البنيوية ، ولعل هذا ما جعل التاريخانية الجديدة تؤسس طرائق جديدة لدراسة التاريخ، ولوعي جديد بالكيفية التي يحدد التاريخ بها والثقافة كل واحد منهما[٢]. وتؤمن المدرسة التاريخانية الجديدة والتقليدية بأن الأدب جزء من السياق التاريخي العالم للمجتمع، وبأن النصوص الفردية قادرة على امتصاص ذلك السياق والاحتفاظ به كجزء من بنيتها الداخلية ومن ثم إعادة انتاج من خلال عمليات القراءة المتكررة[٣].

ثالثاً: الأدب والرواية والتاريخ:

الرواية لها علاقة بالتاريخ لكنها ليست تاريخاً، ولها علاقة بالسياسة لكنها ليست سياسية، ولها علاقة بالدين ولكنها ليست ديناً، فالرواية لها كيان مستقل أو هي فن، ويجب أن تقرأ على هذا الأساس، لكن تبقى الرواية أقرب الفنون الادبية إلى التاريخ فالرواية لا بد لها من أحداث وشخصيات وزمان ومكان ولكنها تتفاعل مع هذه العناصر أو تتفاعل هذه العناصر وغيرها في بوتقة الرواية بطريقة نوعية وخاصة ومتفردة[٤]. وقبل أن يتطور علم التاريخ على النحو الذي صار عليه الآن بحيث صار دراسة منهجية ذات وظيفة استردادية، وبحيث لم تعد وظيفة المؤرخ أن يحك (ماذا حدث)، وإنما (يفسر لماذا حدث) ويستخدم أدوات البحث العلمي والصرامة المنهجية كانت مهمة التاريخ أن يحكي وأن يسجل وأن يجمع، وكان على المؤرخ بالتالي ان يكون روائيا يحكي ما حدث وهو هنا أقرب ما يكون إلى الروائي...وكثيرا ما حدث أن استعان المؤرخون القدماء بالخيال لترقيع النقص في الذاكرة، وكثيراً ما لجأ المؤرخ إلى الخيال لكي يضع خطبة بليغة على لسان أحد أبطال

(١) دليل الناقد الأدبي: د ميجان الروبلي –و د سعد البارزعى –ط الاولى ٢٠٠٩ ص ٤٥.

(٢)التاريخانية الجديدة والأدب : غرينبلات منتروز :ت: حسن حمامة، ط. الاولى، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٨ : ٦ .

(٣) التاريخانية الجديدة والأدب : ٧ .

(٤) في نظرية الادب د. شكري عزيز –مكتبة لسان العرب –ط ٢٠١٧ ص ١٤٩

روايته التاريخية، لأنه يعتقد ان هذا ما كان يجب أن يكون[١]. وربما اتفق التاريخ والأدب في اشتراكهما في الخطاب الثقافي والآيديولوجي، لكن يظل اختلافهما الأساسي في الشكل وطرق المعالجة والبناء والاستبصار، وفي النهاية يظل الأدب ينظر إلى التاريخ بوصفه مادة خاماً يمكن الاستفادة منها لتجسيد عمل أدبي متخيل، والدليل على ذلك تلك الروايات التي أبدعت وكان التاريخ مادتها.

ونجد الرواية التاريخية بوصفها فرعاً من فروع الأدب برهاناً ساطعاً على مدى التداخل بين الأدب والتاريخ، إذ يستغل الروائيون حرية الفن، وانطلاق الابداع الادبي، لكي يمزجوا بين حقائق التاريخ وجماليات الابداع، ويكون عملهم انجح ما يكون عندما يحققون التوازن بين (الصدق التاريخي) و (الصدق الفني) وهو ما يعكس الحقيقة القائلة بأن الإنسان هو الموضوع المشترك بين الأدب والإنسان' لذا يمكننا القول إن العلاقة بين الأدب والتاريخ علاقة حميمية جدلية، كما أن الارتباط بينهما يكون ارتباطاً عضوياً وتشكل الرواية التاريخية عمق هذه العلاقة في أوضح صورها وأكثرها جمالاً. وإذا سلم المرء بوجود ما يسمى ((الرواية التاريخية)) فلا بد له من التأكيد بأن المادة الخام للرواية هنا اي المادة التاريخية تولد طاقة ولكنها تخلق مشكلة، الطاقة تتمثل في كون معظم أحداث التاريخ وشخصياته مقنعة لأننا سلفا متأكدون أن هذه الأحداث قد حدثت وأن تلك الشخصيات قد عاشت وتحركت في إطار يشبه الاطار العام للرواية، أما المشكلة فتبدو في أن الروائي لا يريد أن يقول من خلالها ما يقوله التاريخ وإلا عد تكرارا للكتابة، بل أنه يريدها أن تكون إنسان هذا الزمن الحاضر الذي نعيشه، فضلا أن المادة التاريخية تقيد حرية الفنان الروائي[٢]. وهذا الموضوع يقودنا إلى اشكالية تعريف الأدب: بأنه صياغة فنية لتجربة بشرية والذي نحا فيه النقاد منحيين[٣]:

الاول: مثله النقاد العرب الذين فسروا عبارة التجربة البشرية لمعناها الضيق، فقالوا: أنها التجربة الشخصية التي يجب أن يصدر عنها الشاعر، وإلا كان شعره كاذبا ومثل هذه الاتجاه ابن طباطبا العلوي الذي جعل الصدق أهم عناصر الشعر واكبر مزاياه، ويمثل

(١) بين الأدب والتاريخ: د قاسم عبده –ناشر عين للدراسات والبحوث –ط الاولى ٢٠٠٧ –ص ١٥ .

(٢) في نظرية الأدب : د. شكري : ١٥٠ .

(٣) الأدب ومذاهبه : د. محمد مندور – مكتبة لسان العرب –ط–الاولى ص ٩ – ١٠ .

عنده الصدق التاريخي (اقتصاص خبر أو حكاية كلام)، لكنه هنا يجيز للشاعر إذا اضطر أن يزيد أو ينقص على شرط أن تكون للزيادة والنقصان يسيرين غير مخدجين لما يستعان بهما وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه، بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسن[1]. وادخل نقادنا على الأدب وبخاصة الشعر مقاييس الصدق والكذب، وفسروا الصدق بأنه ما كان صادراً عن تجربة شخصية ومعاناة للأدب أو الشاعر، وفسروا الكذب بالتصنع الذي لا يستند إلى التجربة، حتى ظن البعض أن موجبات الصدق تقتضي أن الشاعر يصف القطار والطائرة كما كان العربي القديم يصف الناقة وحمار الوحش .

المنحى الثاني: نجده عند الغربيين فالتجربة البشرية عندهم أبعد ما يكون عن أن يقتصر على التجربة الشخصية ... وقد أصابوا شاكلة الحق، وذلك لأنه من غير المعقول أن نطالب الادباء والشعراء بأن يعيشوا كل تلك التجارب التي يصوغونها في قصصهم أو أشعارهم والا لوجب أن تفترض أن أديبا عالمياً كشكسبير أو بلزاك قد عاش حياة كل أولئك المجرمين والأفاقين والبخلاء والمستهترين الذي صور حياتهم في مسرحياته أو قصصه .

٣.٢.المطلب الثالث: نتائج حول العلاقة بين الأدب والتاريخ

*الأدب غير التاريخ، إن الأدب والتاريخ فرعان لشجرة واحدة، فالتاريخ يحاول عبر بحثه عن تسجيل حوادثه اعتماد الحقيقة أحياناً والوثيقة احياناً اخرى، بينما الأدب يعتمد التخيل وإعادة إنتاج ما جرى، في محاولة دائمة لإثارة الدهشة والإجابة عن سؤال المصير، والسعي نحو المعرفة والتعبير عن القيم العليا...وقد يكون التاريخ مادة لرواية ناجحة متخيلة مثل ذلك بعض روايات أديب نوبل (نجيب محفوظ) منها (مئة عام من العزلة) و(قواعد العشق الأربعون) . ويتمتع الروائي وكاتب القصص اللذان يستعينان بمادة تاريخية بالقدرة على استبعاد الواقعي والحوادث وتحويل تلك المادة إلى فن وإلى عمل من أعمال الخيال، لكن تبقى إشكالية الفصل بين الرواية والتاريخ، فرغم أن الأدب والتاريخ نوعان من أنواع القص، فإن كل منهما له تقاليده المستقلة تماماً، فالأدب يقوم على الانتخاب، وتجسيد المتخيل، وطرح السؤال، وهتك سر

(١) عيار الشعر : ٤٣، وتاريخ النقد الأدبي عن العرب : إحسان عباس – ص ١٤٣ .

الأسطورة، ونحت أشخاص يأتون دائماً عبر الذاكرة وفق فضاء السرد الأدبي .

* هناك روايات تاريخية نجدها أقل أهمية وأقل جمالاً عن كتب التاريخ المتوافرة في المكتبات، هذه الروايات ارتضت لنفسها أن تتكئ على التاريخ اتكاءً كليّاً، ولأن التاريخ قد كُتب غالباً من وجهة نظرٍ رسمية، فإن الإبداع يكاد يضمحل تماماً من سطور الروايات التي حصل عليها منه التي لا تكون في النهاية سوى صورة باهتة من كتبٍ رسخت في أذهان قرائها من شتَّى الأجيال؛ ولذا سرعان ما يرد هؤلاء القراء هذ الروايات إلى أصلها ويتعاملون معها على أنها لم تكن، تماماً كما نرد جملة موسيقية سمجة ومقلدة بركاكة إلى أصلها فلا نعاود الاستماع إلا إلى الأصل ونحذفها من حياتنا٠على الجانب الآخر، هناك روايات تاريخية آسرة، وهي تلك التي كُتبت بعد فهم كاتبها أنها عليها أن تكتب التاريخ المسكوت عنه في ثنايا التاريخ الرسمي، أي التاريخ الذي من المفترض أن يُكتب لو سُمح للشعوب بكتابته من وجهة نظرها هي لا من وجهة نظر كتبة الحكام. مشيرة إلى أن هذه الروايات لا تتكئ على التاريخ الرسمي، بل تخرج عليه وتحاكمه أحياناً وتتحاور معه تارة وتكذبه تارة أخرى، وتتناص معه في بعض مراحلها فتكون مثل موسيقى رائعة تملأ أرجاء الماضي والحاضر والمستقبل، وعلى كل حالٍ الروايات التاريخية المهمة والرائعة قليلة في مكتبة العالم

*الفروق بين مهمة المؤرخ ومهمة الروائي

من حيث القيمة: تبرز قيمة عمل المؤرخ في الوصول إلى الحق والحقيقة . بينما تتجسد قيمة عمل الروائي في الوصول إلى الجمال والتأثير .

من حيث الوقائع – الظواهر التاريخية: يلتزم المؤرخ بالوقائع التاريخية بدقة، ويبدو عمله مقيداً بأحداث التاريخ ومعطياته، بل يجمع الوثائق ويقوم بتمحيصها وتصفيتها ويبدو عمله دقيقاً، أما الروائي فإنه يتعامل مع الوقائع والأحداث يشكل مغاير لما هلي عليه، فهو ينتقي ويحور ويعدل ويغير، فالأمانة هنا لا تحول عمله إلى فن .

* من حيث الموضوعية: المؤرخ الجاد الذي يستحق هذه التسمية يجب أن يكون موضوعياً، أي عليه أن يتخلى عن أهوائه وميوله، أما الروائي فعاطفي منحاز، إنه منتم بالمعنى العام، فالعالقة بين ذات الروائي والتجربة الروائية قوية وحميمة ومسوغة .

*من حيث المضمون والشكل: يهتم المؤرخون بالمضمون والمحتوى العام .

ويهتم الروائي بالشكل الذي يمنح المضمون قيمته وتأثيره .

* من حيث اللغة: لغة المؤرخ دقيقة منضبطة مباشرة تقريرية، هدفها التوصيل، أما لغة الروائي، فإيحائية تصويرية هدفها التأثير . يشترك الروائي والمؤرخ في نقاط عديدة هامة منها:

١-كلاهما يقدم معلومات وحقائق (مع التباين في الكيفية، فالمؤرخ يقدمها من خلال التقرير، والروائي يصوغها من خلال التصوير)

٢-كلاهما يفرق بين ما هو ظاهر وما هو باطن . ما هو عرضي وما هو جوهري

٣- كلاهما يهدف إلى خدمة الإنسان وتنويره . فكلاهما يزودنا بخبرات عميقة بماضينا وحاضرنا ومستقبلنا . أي بأنفسنا والوجود والعالم. بشكل مباشر (التاريخ) وغير مباشر (الروية) .

٤- قد يعاني كل من التاريخ والأدب من التزييف .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقد حاولنا في كتابة هذا البحث إعطاء صورة عن علاقة الأدب بالتاريخ ، وقد عرفت نظرية الأدب في المبحث الأول وفي المطلب الأول ألأدب والتاريخ مع النقد والتاريخ وفي المطلب الثاني مهمة الفنان وفي المطلب الثالث نتائج العلاقة بين الرواية والتاريخ .

ها نحن نصل بعون الله تعالى إلى خاتمتها لنسجل النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث ان الأدب هو روح العمل التاريخي فإذا خرج عن العمل فقد العمل قيمته، وأصبح عملا باطلا لا جدوى منه، هذا إذا لم يؤد إلى نتيجة عكسية فيبعد صاحبه عن الدين، وعن قيمه، ليس هناك تقدم في أي جانب من جوانب المعرفة،إلا عن طريق البحث عن التاريخ والى نظرية الأدب والتاريخ ومهمة الفنان يجب ان يرجع الى التاريخ فهو مصدر جميع المعلومات.أما فيما يخص تقنيات التوثيق العلمي ،فكل باحث سوف يجد ظلته من حيث بحثه ولا يمكن ان ينتقل بين التقنيات في بحث واحد ،فمن دون هذه التقنيات وأدوات البحث العلمي يصعب دراسة الظواهر والوصول الى نتائج رشيدة وصحيحة .

المصادر والمراجع

- -القران الكريم
- القاموس المحيط – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى– ط – ٨
- دليل الناقد الأدبي: د. ميجانا الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. الثانية،

- نظرية الأدب: اوستن واريـــن، رينيـــه ويليك: ت: محي الدين صبحي
- معجم المصطلحات الأدبيـــة المعصـــرة: د.سعيد علـــوش، دارالكتـــاب اللبنـــاني، بيروت، ط. الاولى .
- معجم المصطلحات الأدبية: نواف نصار، دار المعتز، عمان، ط. الاولى.
- معجم المصطلحات العربيـــة: ابـــراهيم فتحي، التعاضدية العالمية، تونس
- في نظريـــة الأدب: د. شـــكري عزيـــز ماضي، المؤسسة العربية، بيـــروت. ط. الاولى.
- ينظر: بين الأدب والتاريخ: د. قاسم عبده قاسم: المقدمة.
- الفن ومذاهبه: د. محمد مندور
- في نظريـــة الأدب: د. شـــكري عزيـــز ماضي، المؤسسة العربية، بيروت . ط. الاولى .
- الاسطورة في شعر السياب: عبد الرضا علي.
- طبقات فحول الشعراء: لابن سلام: تـــح: محمود أحمد شاكر، دار مدني .
- المؤرخون وروح الشعر: ايمري نِف:تر: د. توفيق اسكندر، ط. الثانية .
- نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشـــعر: ديفيد بشـــبندر: ترجمـــة: عبدالمقصـــود عبدالكريم، الهيئة المصري العامة للكتاب
- المذاهب النقدية –دراســـة وتطبيـــق –: د.عمر الطالب .
- مقدمة في النقد الأدبي: د. علـــي جـــواد الطاهر .
- في النقد الأدبي الحديث: د. فائق مصطفى
- التاريخانية الجديدة والأدب: غـــرينبلات منتروز:ت: حسن حمامة، ط. الاولـــى، الدار البيضاء، المغرب .
- الأدب ومذاهبه: د. محمد مندور.
- عيار الشعر وتاريخ النقد الأدبـــي عـــن العرب: إحسان عباس.